

نيل الأمانى
فى جمع قصائد وأبيات من نظم
سیدی ابي العباس التجانى
مستمل من كتاب
جواهر المعانى وبلوغ الأمانى

أحمد ميرغنى أحمد التجانى

نيل الأماني في جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبي العباس التجاني رحمته الله

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي كرّم الإنسان، وأعلى شأنه على جميع مخلوقاته في كل الأكوان، وخص بالتكريم الأسنى أهل الإيمان.

والصلاة والسلام على من خصّه الله ﷺ بأعلى بيان، وزاده فضلاً فجعله إمام أهل العيان سيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى آخر الزمان

وبعد :

هذه شذرات من نظم الشيخ أبي العباس التجاني رحمته الله جمعتها من كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم براده، ونظراً لأهميتها ، استخرجتها ليسهل الاطلاع عليها ، وسميته (نيل الأماني في جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبي العباس التجاني رحمته الله) .

وأضفت إليها شرح من كتاب (حضرة التداني من شرح أبيات الختم التجاني)

للعلامه أحمد بن الحاج العياشي سكيرج ، بتحقيق ذ محمد الراضي كنون

الإدريسي الحسيني ، ورحم الله من قال :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام رباح

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، ونفع به النفع العميم بجاه النبي العظيم، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحمد ميرغني أحمد التجاني

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

ترجمة الشيخ سيدي أحمد التجاني رحمته الله (١)

بداية سيدنا رحمته الله وأزواجه وأولاده :

(...، واعلم أيضا أن سيدنا رحمته الله نشأ في عفاف وصيانة وتقوى وديانة محروسا بالعناية محفوقا بالرعاية مقبلا على الجد والاجتهاد مائلا إلى الرشد والانفراد متطلبا للدين وسنن المهتمدين، مشغلا بالقراءة، معتادا للتلاوة. حفظ رحمته الله القرآن حفظا متقنا في سبعة أعوام على الأستاذ أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد التجاني.

ثم اشتغل بقراءة العلم الشريف فقرأ على جماعة من العلماء الجلة من فحول هذه الملة بعين ماضي وغيرها إلى أن تبحر رحمته الله في علم الشريعة. ثم مال رحمته الله إلى طريق الصوفية والبحث عن المعارف الإلهية والأسرار الخفية وسافر في طلب ذلك من بلد إلى بلد حتى بلغ غاية ما قصد بعد أن تلاقى مع جمع من العارفين والأولياء والصالحين رضي الله عن الجميع. وقد كان زوجه والداه قبل موتهما لما بلغ الحلم رحمته الله من غير تراخ منهما في ذلك اعتناء بشأنه وحفظا له من الشيطان وحزبه وصونا لأمره مراعاة للسنة المطهرة بالمبادرة بذلك، وكان تزويجه سنة ثم طلقها سيدنا رحمته الله حيث

(١) أنظر الترجمة في كتاب كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ، للعلامة

العارف بالله الحاج أحمد سكيرج ص ١٤ الى ٢٠ .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاشي

رأها شغلته عن مقصوده الأهم من الجد والاجتهاد وحيث لم توافقه فيما رامه من العبادة وسلوك سبيل الرشاد.

ولما حصل سيدنا عليه السلام مقصوده وعلم أن التزويج مطلوب منه بمقتضى الاقتداء بالسنة اشترى عليه السلام أمتين مباركتين وتزوج بهما بعد عتقهما ونالتا منه عليه السلام الحظ الوافر من المودة التامة التي نالتا بها من الفتح المبين والمقام المكين في الدين ما يبهر العقول ولا يدركه الأكابر من الفحول.

فالأول هي الدرة المكنونة واللؤلؤة المصونة السيدة مبروكة ذات الحزم الشديد والرأي السديد.

كانت رحمها الله شديدة البرور بسيدنا عليه السلام سامعة له ومطبعة وكان يحبها محبة خاصة لشدة اعتنائها به.

لاسيما حين رزقها الله منه الخليفة الكبير والعارف الشهير سيدنا محمد الكبير عليه السلام، ولازالت معه على أحسن ما يكون إلى أن توفي سيدنا عليه السلام وتوفيت بعده رحمها الله.

والثانية هي السيدة الغالية المتصفة بالهمة العالية السيدة مباركة ذات القلب السليم والفضل العميم والمآثر الفاخرة والكرامات الظاهرة قد اختارها سيدنا عليه السلام لنفسه، وطابت له بها أوقات أنسه وكان يحبها عليه السلام محبة خاصة لاسيما حين أكرمها الله منه بخليفته الأعظم الجامع بين مقامات العرفان الشائع فضله بالتواتر في سائر البلدان سيدنا محمد الحبيب عليه السلام.

ولازالت مجدة بالإسراع في كل ما يجلب السرور لسيدنا عليه السلام إلى أن توفي

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

سيدنا رحمته الله وتوفيت بعده وكانت مع ضربتها السيدة مبروكة فى أحسن عشرة مع اتصافهما معا بحسن المعاشرة مع أقارب سيدنا رحمته الله ومع من انضم إليهما فى داره المباركة على طول الاجتماع، وكذلك كل ما عنده من الخدم والعبيد كانوا على قلب واحد وذلك لشدة اعتناء سيدنا رحمته الله بالجميع الاعتناء الشديد مع سر تربيته الساري فى الأحرار والعبيد وإذا رأى من لا يؤثر فيه الأدب و لا يتخلق بأخلاق ذوى الحسب يخرجهم من داره و لا يقربه وينبه على أفعاله لمن يصحبه.

وقد قال مرة لأصحابه رحمته الله كما فى إفادة المقدم البركة سيدي الطيب السفيناني رحمه الله: أنظروا لي أعطيه خادما ويكون يقدر على القيام بها وقولوا له تتخاصم مع الخدم وأنال البيع اليوم لم نبع والعتق لم نعتق لأمر فأتاه رجل أخبر بأمرها وقبلها فدفعها له بصندوق حوائجها وحليها وثيابها وأوانيها وكانت عادة سيدنا رحمته الله أن يعطي لعبيده من الأكسية والأطعمة ما لا يعطيه لنفسه.

ورأى يوما بعض خدم بعض الناس مفرطين فى كسوتهم ضائعين فى أبدانهم مشوهين فى لباسهم فى زمن الشتاء فقال لأصحابه حاشا الله أرباب هؤلاء المماليك أن يشموا رائحة الإسلام.

وكان يجب أن يترك تحت يده أو يد غيره من الناس خدما بلا تزويج ويقول لأصحابه من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجه لغيره أو

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

بيعها بهذا الشرط فليحط سبحتي ما بيني وبينه شيء وإليه أشار في المنية
بقوله:

وصح عن هذا الإمام ما من بعد ذا البيت أتى
فتارك إماءه في الضر من غير تزويج ولا ترى
أو يبيعها بأحد الشرطين فليس شيء بينه وبينى

وهذه الأبيات الثلاثة سقطت من نسخة البغية المطبوعة مع بيتين قبلها
وهما:

وسكر القلب شيخنا أمر بتركه وعن شرابه زجر
وكان سيدنا رحمته الله يقول من كانت لزوجته خادم فليأمرها بتزويجها أو يبيعها
بالشرط المذكور وإن أبت يقول لها إن لم تفعلي طلقتك.
كذلك لا يجب أن يترك العبد بلا تزويج وأهدى إليه بعض أصحابه عبدا
سباعيا جميلا فأمر رحمته الله بعض أصحابه أن يرده إليه معتذرا له، قل له لا
يمكنني تركه داخل الدار وفي خارجها يتضرر.
إشارة منه رحمته الله إلى التحرر عن إدخال العبيد الدور لئلا يقع فاعل ذلك في
مهواة الشرور ومما قيل:

لا ترج من أسود خيرا فإن بني حام إذا شبعت بطونهم فسقوا
وإن أنالتهم الأيام مخمصة لا يبارك الله في أعمالهم سرقوا

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

ما ساد منهم فتى إلا إذا منه الخصى أو ذوى من عوده
لكن كان سيدنا رحمته الله يخافهم ويخالف قول بعض الشيوخ الجارى على
الألسنة الدار المباركة ليس فيها مبارك ولا مباركة وحين يسمعه، يقول:
(الدار المباركة هي فيها مبارك ومباركة) .
وكان كثيرا ما يوصي أولاد الإمام على أمهاتهم وقال يوما لأحد ولديه
رضي الله عنهما قل أمي حين جاء يشتكي بأمه وسمها باسمها فقيل له إن
أولاد الإمام لا يقولون أمي لأمهاتهم فقال رحمته الله ذلك عقوق .
وكان رحمته الله كثيرا ما يشتري العبيد ويعتقهم في سبيل الله حتى إنه اشترى يوما
نحو الخمس والعشرين نفسا وأعتقهم كلهم كما بلغني ذلك عن الثقات
من خالط أكابر أصحاب سيدنا رحمته الله .
وإذا جاءه عبد أو أمة يطلب منه الشراء والعتق يفعل ذلك به، وجاءته
يوما أمة وقالت له اشترني لله ولم يكن حاضرا ما يخلصها به فدفعت قطعاً
لبعض أصحابه وقال له بعهم وشاورني فيهم لأخلص بئمنهم خادما أتني
وقالت لي اشترني لله وأنا ما عندي شيء نشترها به لأن ماله رحمته الله كله
مصرفه معين فلا يترك عنده شيئاً مجانا بل كل شيء بنية شيء وقصده كما
في الإفادة .
وكان رحمته الله يقف بنفسه في مهمات خدامه و لا يتغافل عنهم فيما لا يضا
الشرع حتى أنه كان لا ينام حتى يسد البيوت على عبيده كلهم ويجعل
مفاتيح البيوت عنده في صندوق وفي الصبح يقوم نفسه لحلها كل ذلك

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

حرصا على أداء حقوق المملوك على مالكة.
وكذلك رحمته الله كان يفعل بنجليه الكريمين رضي الله عنهما فكان يسد
عليهما البيت الذي هما فيه عند نومهما إلى طلوع الفجر.
قال البركة المقدم سيدي الطيب السفياي في إفادته حين أراد سيدنا رحمته الله
تزيوج ولديه رضي الله عنهما أمر بإصلاح بيتين من الدار واستعمال قفلين
عليهما جيدين وأمر باستعمال صندوق ليستعمل فيه مفاتيح البيتين حين
يسدهما على ولديه وأزواجهما من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر
ويفتح عليهما كما هي عادته الكريمة مع خدامه كل يوم يسد عليهما مع
الخدم من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، ويقف إلى أن يخرجوا ليصلوا كل
ذلك حزم منه رحمته الله .

وبعد سبع سنين أو ثمان أخرجهما من الدار وأمر أمهاتهما إذا دخلوا الدار
كل واحدة تقوم مع ابنها حتى يخرج من الدار وحين أخرجهما قام بأمرهما
صاحبه الذي كان بالدار الصغرى وجعل لهما فرشين واحد من هذه
الناحية والآخر من الناحية الأخرى وجعل بيتا بينهما إلى أن توفي رحمه الله
وقرب وفاته تزوجا معا يعني ما مات سيدنا رحمته الله حتى زوجهما.
ومن الغرائب أن اليوم الخير من عرس أولاد سيدنا رحمته الله اجتمع الإخوان
عنده رحمته الله وطلبوا منه الفاتحة فلما فرغ منها سقطت خصية من خصات
الدار عن مكانها حتى ذاع مائها فكان ذلك الجمع آخر عهد بين سيدنا
رحمته الله وبينهم، ولما عزم سيدنا رحمته الله على تزيوج أولاده رحمته الله صار الآخرون

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

يتسارعون فى إهداء بناثم لأولاده رحمته الله وعرضهن عليه فقال معتذرا لهم
أولادي لا تليق لهم إلا الصحراء ففيها يصلحون ويعيشون والبنت لا تليق
بها إلا الحاضرة فما تمت السنة حتى كانوا قاطنين بها.

وقال رحمته الله لبعض خاصة الخاصة من أصحابه حين أراد تزويج ولديه رضي
الله عنهما كما فى الإفادة ونصها: أحضر أصحابنا غدا إن شاء الله واعدد
لمحمد الكبير على فاطمة بنت أخي ونب عني من الطرفين وأحضر أحمد
بن موسى يكمل لأخته حسناء واعدد لمحمد الصغير عليها وكانت يومئذ
فى كفالته وأفرض لهما صداقا قدره لكل واحدة منهما خمسون ريبالا روميا
وزوج قفاطن أحدهما حرير والآخر ملف وزوج مناصر كتان وأربع محارم
حرير كبارا وقطيفة وحايك كبير للغطاء. انتهى.

ولما زوج رحمته الله ولديه الأكرمين بهاتين الزوجتين المباركتين أزمع على الانتقال
عن فاس حفظها الله من كل باس وعزم على الارتحال إلى القطر الشامي
بجميع ما معه من الأهل والعيال بقصد الاستيطان به لما ورد فى فله من
الأحاديث عن سيد الأكوان عليه الصلاة والسلام فىبينا هو رحمته الله قد أخذ
أهبة السفر ولم يبق له إلا الخروج لهذا الوطن وقد نزل بأصحابه بسبب هذا
الأمر من الحيرة والنكد ما يذهل الوالد عن الولد حتى كادت أن تفتت
أكبادهم وتنصرع أفئدتهم وتذوب أجسادهم وصاروا يرتقبون توديعه الذى
هو فى الحقيقة توديع أرواحهم وتشبيعه الذى هو تشبيع مادة حياة
أشباههم إذ أشرق عليهم نور غرته وطلع عليهم بهاء محياه الكريم وسنا

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

طلعته فبشرهم بما هو الشفاء مما دهاهم والترياق لما عراهم وأخبرهم بما
نفخ به فى رميم أحوالهم الحياة الهنية فى حالهم ومآلهم وذلك بأن قال لهم
رحمته الله وأرضاه: إن أولياء الغرب أبو أن يفقدوا من بين ظهرانيهم نوره وسناه
فطلبوا من حضرة سيد الوجود ورجبوا إليه رحمته الله فى بقاء وجوده العيني
وشخصه المشهود بين الأغوار من قطرهم المبارك والنجود لأنه رحمته الله مريبه
وكفيله وإليه يستند من أمره كثيره وقليله فأجابهم صلى اله عليه وسلم
لمطلبهم، وأسعفهم بمرغبتهم فأذن له رحمته الله فى المقام وعدم الترحال فلم يمكنه
إلا الانقياد والامتثال فعند ذلك قرت به فى الحضرة الفاسية المباركة الدار
وألقى من يده عصى التسيار وزال عن جميع الكرام ما كان قد روعهم بين
الأنام.

وكان رحمته الله يقول حين يضيق خاطره من أمور الخلق ويرى إعراضهم عن
الحق: والله لولا خوف الله ندعو على أولياء المغرب لأنهم تسببوا له فى
سكنى فاس بعد أن كان قصده أن يسكن الشام كما تقدم.
وفاته رحمته الله :

ثم بعد كمال العرس المبارك السعيد، وطرح عصى السفر بين القريب
والبعيد أحس سيدنا رحمته الله بذاته وازدياد حرارته الملازمة له طول أواته من
السر الذي ناله فى المقام الذي ارتقى له وفى الليلة التي توفى فيها رحمته الله قال
لبعض الإخوان انظر لي خمسة من أصحابنا بيتون معي الليلة.
ثم أمره رحمته الله بترك ذلك كما فى الإفادة، وقال أنا لا أستغني عن الخدم فى

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

الليل والرجال والنساء لا يمكن جميعهم، وصبيحة تلك الليلة عند الفجر قبضه الله تعالى إليه، وذلك صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال عام ثلاثين ومائتين وألف وعدد سنى عمره ثمانون سنة رحمته الله وحضر خروج روحه جماعة من الإخوان وذل بعد أن صلى الصبح اضطجع على جنبه الأيمن رحمته الله ثم دعا بماء فشرب منه، ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته، فطلعت روحه الكريمة من ساعتها، وصعدت إلى مقرها الأقدس. وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحاءها وفضلاءها وأعيانها وأمرائها.

ولو لم يكن صاحبه أمير المؤمنين مولانا سليمان قدس الله سره بالحضرة المراكشية، لحضر بنفسه جنازته مع من حضر وصلى عليه إماما العلامة الأواحد والمفتي الماهر الأجدد أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي، نسبة إلى الإمام التونسي الشهير وازدحم الناس على حمال نعشه المبارك الميمون وكسروه بأثر دفنه أعوادا صغارا ادخروها للتبرك بما حل فيه من السر المصون، ثم وضع في ضريحه والقلوب منقطرة لفقده وكل حاضر دموعه جارية على خده، وذلك بموضعه المعلوم بزوايته المباركة رحمته الله. وبالجملة بعد هذا - كما فى البغية - فقد أجمع من حضر موته على أن ذلك اليوم، يوم مشهود، تساوى به فى الازدحام على تشييع جنازته وحملها وحضور الصلاة عليه المعتقد والمتقد، والمقر والجحود، هنيئا لتلكم الحضرات الشريفة المنورة بما ضمته من أعظامه الطيبة الزاهرة المطهرة، ثم

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

هنيئاً فهنيئاً لا ينحصر تعداده وتكراره، لمن ضمه جواره وإن نزحت به فى المشاهد داره، وشملتة عنايته وأنواره، وإن شط به مزاره، جعلنا الله بمحض فضله فى جواره الذي لا يضام، فى هذه الدار وفى دار المقام، بجاه ما له عند ربه سبحانه من أكيد الذميم وعظيم الحرم آمين. انتهى.

وإلى تاريخ وفاة سيدنا رحمته الله أشار صاحب المنية بجمل حروف عجز هذا البيت:

و حين مات شيخنا ذو الشان** مات الإمام العارف الرباني

ورمزت له بقولي (قطن الحتم) وبقولي أيضا (دفن القطب المكتوم جلا بفاس) وفي هذا الأخير الإشارة إلى موضع دفنه وهو فاس حرصها الله من كل باس).

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

✽ ولندكر هنا قصيدة^(٢) تائية لسيدنا رحمته الله نظمها^(٣) فى ابتداء أمره طلب فيها من الله تعالى ما يتمناه فتفضل عليه مولاه^(٤).

(٢) قال الشيخ ذ/ محمد الراضى كون الإدرسي الحسني على هامش : (الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن) : (ذهب بعض العروضيون إلى أن أقل ما يطلق عليه اسم الشعر ثلاث أبيات. وقال بعضهم: ويسمى البيت الواحد: مفردًا. والبيتان: ننتفة، والثلاثة إلى ستة أبيات: قطعة، والسبعة فصاعدًا: قصيدة، وكل ما عدا ذلك فليس بأبيات شعرية) .

(٣) حول القصيدة قال سيدي العلامة أحمد سكيرج رحمته الله : (أنشأها بحال قوى فى تلهفه على الحصول لما أهمه من الدخول لحضرة التداني و الوصول) ، وقال سيدي ذ/ محمد الراضى كون الإدرسي الحسني على هامش : (حضرة التداني من شرح أبيات الختم التجاني) حيث قال : (المعروف عن هذه القصيدة أنها صدرت عن الشيخ الختم أبي العباس التجاني رحمته الله فى فترة كان عمره فيها لا يتجاوز الأربعين خريفًا، وقد ضمنها مطالب كثيرة يسأل فيه الله تعالى أن ينعم عليه بمقامات عرفانية كبيرة، كمرتبة القطبانية العظمى، مع ما لها من خصائص ومميزات ولطائف وتصاريف ونفود).

(٤) قال سيدي العلامة أحمد سكيرج رحمته الله : (...وكان الدافع له لطلب هذه المقامات ما بشئنه به جماعة من كبار الشيوخ، ممن التقى بهم فى رحلته الأولى لبلاد المغرب، وأيضًا فى رحلته المشرقية عام ١١٨٧م - ١٧٧٣م، حيث أسر له شيخه سيدي محمود الكردي بأنه سيدرك مقاما فوق مرتبة القطبانية، وأنه سيضع يده على خصوصيات همة لم يسبق أن نالها وليُّ صالحٍ آخر.

وعموما فقد كان الشيخ رحمته الله شديد الوثوق بهذه البشارات، يضعها نصب عينيه، ويتربح حصولها بين كل وقت وآخر، أملا أن يظفر بمطلوبه قبل حلول فترة شيخوخته، وهو ما دفعه للتوجه بالدعاء للحضرة الإلهية، طالبا أن تمدده بعنايتها الفائقة، وتمنحه عن قُرب جميع ما يأمله من مقامات وعطايا ومواهب كريمة.

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

وقد استجاب الله دعاءه، وحقق له كافة مطالبه التي كان يرجوها، كما زاده من فضله أضعافا مضاعفة من المراتب العلية، والمعارف والفتوحات اللدنية.

وقد كان سيدنا ﷺ قبل فتحه و الخلول بمقام القطبانية و الحتمية بُشِّرَ على لسان الحضرة المحمدية عليها السلام مُشافهةً بكونه أعلا مقاما من غيره، و قبل الإجتماع به يقظة كان بشره أهل الفتح و المكاشفة بما يشاهدون في عالم الغيب من جلاله القدر المنوط به، ويضمنون له بعد تعلقه بهم و الإنخياش إليهم قبل الفتح عليه ما كان يطمئن به صدره، و تطيب به نفسه، و يرى من إقبالهم عليه ما كان يزيد تيقنا تاما بالخصوصية التامة، ويستروح به في خاصة نفسه أن له بذلك شأنًا كبيرًا في مستقبله، بما كان يترقبه من نيل مطلبه فوق ما يهتم به، و حين طال انتظاره في أوائل أمره لكشف الغطاء عما يختلج في صدره استعمل هذه الأبيات، و هي أبيات استفهامية، في ضمنها طلب تعجيل الظفر بما يطلبه،.. . انتهى المقصود ، انظر مقدمة كتاب (حضرة التداي من شرح أبيات الحتم النجاني).

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

ونصّها :

ألا ليت شعري هل أفوز بسكرة^(٥) من الحبّ تُحبي مِنِّي كلّ رميمة^(٦)

(٥) قال الشيخ ذ/ محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني ما نصه : (السكر في اصطلاح الصوفية هو غيبة بوارد قوي مفرح، وهو أقوى من الغيبة وأتم منها، ويعجبني في هذا الصدد قول العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، في مطلع قصيدة له: سكرت ولم يشعر صحابي كلهم بأي شراب كان من دونهم سكري) أنظر المصدر السابق .

(٦) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (قد ترقب رحمته الله للجواب بالإسعاف بمطلبه في ضمن استفهامه عما في دواخل باطنه من شدة التشوف لهذه المطالب، التي هي وسائل لتحصيل غاية المطلب، الذي ما وراءه مرغّب، فأتى في ابتداء استفهامه عن مطالبه بالمطلب الذي رآه فاتحة الخيرات، و المفتاح الذي تفتح به المعلقات، و هو من الأمر الأهم، الذي يستحق على غيره أن يقدم، فطلب السكر من الحب ليعتس به باطنه، و يحبي قلبه، و يشرح صدره، و تقوى نفسه على حمل ما يفيض عليها من حضرة القدس من الأسرار، فجرد من نفسه شخصا طلب له بتلك السكرة حياة كل رميمة منه على رواية منك، وفي بعضها مني، و على رواية مني يتعين حذف ياء المتكلم للوزن و معنى لطيف، و هو فناء النفس في معنى البقاء، و كأنه يطلب به التحير الذي يطلبه كل محمدي في كمال الترقى في المراتب التي هي نهاية السير في إدراك السر، بمقتضى زدي فيك تحيرا، و على لسان الحضرة يقول عاشقها:

زدي بفرط الحب فيك تحيّرًا *** وارحّم حشا بلظى هواك تسعّرًا

فالسكر منه هو التحير المطلوب من المحبوب متحققا بأن الحب عليه مدار القرب، فهو إن كان من الحب الصادق يدنيه لحضرة الحبيب، و إن كان من الحبيب فهو أعلا و أغلا في رفع شأن الحب على رغم الرقيب، فعلى هذا فإن الحب أول ما يعتني به المرید لإدراك مطالبه من كل أحد، فلا بُدّ من التقرب إليه بالحب و بحب من يحب، فإذا فاز بالخط الأوفر من الحب حتى سكر به بحيث يكون مستغرق القلب و القلب في المحبوب مطبقا عليه في الإلتفات عن الغير للغير، فلا جرم أنه ينال من المحبوب فوق ما تمناه، و يحبي به دارس الرسم من حسه و معناه) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

وهل تتجلى الذات فيها لفكرة^(٨)

وهل لذرى الإحسان^(٧) ترقى عوالمى

(٧) قال الشيخ ذ/ محمد الراضى كون الإدريسي الحسنى ما نصه : (قال الجرجاني فى كتابه التعريفات: الإحسان فى الشريعة هو التحقق بالعبودية على مشاهدة الربوبية بنور البصيرة، أى رؤية الحق موصوفا بصفات بعين صفته، فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة، كما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. إهـ.. التعريفات ١٤-١٥ .

أما فى مصطلح القوم فالإحسان هو مقام يكون فيه المتصوف السالك ملاحظا لآثار أسماء الحق وصفاته، فيتصور فى عبادته كأنه بين يدي الله تعالى، وهو مقام الكشف والشهود) أنظر المصدر السابق .

(٨) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فى استفهامه عن ترقى عوالمه لذرى الإحسان، و تجلي محبوبه لعين فكرته فى العيان، طلب الإسعاف بمقصوده وفق ما تقدم، و لكن طلبه المتقدم فيه إجمال، لكون السكر بالحب ربما يحول بين الحبيب و المحب بكمال القرب، فلا يشعر بمذاقه لإطباقه، و إن كان فى ضمن المسؤول عنه ما يحيج به كل رميم، فاستفهم هنا عن ترقى عالم حسه و عالم معناه الذى هو عالم الذات، و المراد به الجوارح، و عالم النفس و عالم الروح و عالم القلب و عالم السر فى أطواره كلها، و هى العوالم التى يطلب ترقىها لذرى الإحسان إلى التمكن فى العبادة المحضة، فتعمل جوارحه الظاهرة و عوالمه الباطنة ما هو فى حيز القبول، بحيث تعمل ذاته بإخلاص، بعد توفيقها لما فيه من كل قيد خلاص، و تستعمل النفس و ما عطف عليها فى مدارج الإحسان، الذى هو بعد درجات الإسلام والإيمان، مع تفاوته فى أطوار الإنسان.

و لذلك استفهم عن أعلا أطواره، الذى هو غاية أوطاره، فطلب بتجلي الذات له فى جميع عوالمه حتى ينظرها بعين فكرته، فىكون فى هذا البساط سكران يقظان، و يكون المحبوب امتزج به امتزاجا لا يوصف بانفصال، و يرى بنفسه ذلك الإتصال بعين الكمال، بحيث ينزه هذا المحبوب عن الإتحاد، و إن كان فى ظاهر القصد هو المراد، غير أن المطلوب هو الحصول على مقام الاستغراق فى المشاهدة بما يليق بالحضرة، و لا يفوته ملحظ حق المخلوق، فإن من فاته إعطاء هذه المرتبة حقها حالة الإستغراق فى المشاهدة يفوته

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة

تُعَيَّب كلِّي عن جميع الخليقة^(٩)

من المعرفة بالله بقدر ما فاته من ذلك، حسبما تقرر عند خاصة و عامة العارفين، واستفاده الحاتمي من الحضرة المارونية في إحدى وقائعه العرفانية، و أفاده شيخنا في بعض مقالاته) أنظر المصدر السابق .
(٩) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فهو استفهام بتمني الغيبة التي هي غاية الصحو بكمال المشاهدة للحق، فإن غيب الغيب الذي تغيب به جميع عوالمه بالله عن غيره هي غاية المراقبة و المشاهدة و القرب التام و الود المحض في بساط الأنس به، فليست الغيبة المطلوبة هنا نقصاً عن درجة المقام الأول، الذي يجمع فيه المشاهد بين حق الرب و العبد، بل هو هنا طلب الإستغراق الكلي و الإصطلام التام حتى يكون مقامه و جميع عوالمه مستورة عن جميع الخلق، بحيث يتقدم في حضرة القدس إلى درجة لا يراه فيها غيره من الكمل، و إلى مقام لغيره لم يُنَلْ، مع رسوخ قدمه هو في إعطاء المقام حقه، و لكل عالم ما استحقه.

و هذا زيادة في التمكن من المقام الأول، و تلك الغيبة المطلوبة تفيد أي غيبة به، بمعنى أنه يأخذه الحق دفعة واحدة من كله تغيبه عن سائر الخلق، فتكون غيبته في غيب الغيب ساترة له بكمال القرب عن كل نقص و عيب، و في ذلك غاية الترقى في درجات المعرفة بالله و صفاء النفس من كل ما يشين شرعا و طريقة و حقيقة، فتصير عوالمه على أكمل درجة من التواني لحضرة القدس، في بساط الأنس، بانجلاء مقتضيات النفس) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وقد هدمت مئى رسوم الطبيعة^(١١)

وهل نفحات القرب^(١٠) فضلا تعمى

(١٠) قال الشيخ ذ/ محمد الراضى كون الإدريسى الحسينى ما نصه : (القرب فى اللغة هو الدنو، وهو خلاف البُعد، أما فى اصطلاح القوم فيعبر به عن القيام بالطاعة والإنقطاع عما دون الله، وأن ترى صنائعه ومننه عليك، وتغيب فيه عن رؤية أفعالك ومجاهداتك، والإنصاف فى دوام الأوقات بعبادته. قال تعالى: (واسجد واقترب) أنظر المصدر السابق .

(١١) قال الشيخ العلامة أحمد سكيح رحمته الله ما نصه : (فهو استفهام لطلب الحلول فى حضرة القرب، بحيث تعمه النفحات القدسية، حتى تستولي عليه استيلاءً كلياً، فيكون معدوداً من نفس تلك النفحات، لزوال ما طبعت عليه البشرية من الحظوظ النفسانية، فيعمل لغير حظ، و يقبل من غير عمل، لأن من عمه الفضل عُدُّ من أحسن المحسنين، ولو كان من أكبر المسيئين، كما قيل:

و إذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ *** جاءت محاسنه بألفِ شفيع

غير أنه بطلب الدخول إلى حضرة قدسية ينقطع بها عن حظوظ النفس بالكلية، فلا يصدر منه إلا موجب القرب، و هو فى عين القرب بانسدال رواق الحفظ عليه، فتكون له من عناية الله به عصمة قوية، و إن كانت العصمة بين البشر لا تكون إلا للأنبياء، لكن يعطى لبعض خاصة الخاصة من المحمدين حظ منها، و هو القطب، فله بحفظ الله مشرب منها، فالشيخ رحمته الله يتمنى هذا المقام المخصوص، و يطلب مقام القطبانية فى هذا الإبان الذى هو ابتداء أمره، بحسب البشارات التى عنده، و المبشرات من الخاصة له من أنه سينان قصده، ولكن طال انتظاره) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل جذبات^(١٢) بالتجلي تؤمني

فتسلبني عن كلِّ كَلِّي وجملي^(١٣)

(١٢) قال الشيخ ذ/ محمد الرازي كون الإدرسي الحسني ما نصه : (جذبات: جمع جذبة، والجذب في اصطلاح أهل التصوف هو تقرب العبد بمقتضى العناية الإلاهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه) أنظر المصدر السابق .

(١٣) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فهو في ضمن استفهامه يتمنى وقوع التجلي من حضرات الجذبات القدسية، لتجذبه من مرتبة لمرتبة، و تطلعه لأعلى المراقي وفق ما طلبه، فيخلع نعليه بواد وفتت بساحله نفوسٌ غواصة لاستخراج درر اللطائف المودعة في صدق العناية من كل بحر عميق، و فح عميق، حاجز عن البلوغ إلى طور الصدمات النورانية، الذي يندك عندما يلمع منها لامع شواهد جبال النفوس العالية، عندما تستطلع عليها بالخوض في هذا البحر الذي غرقت فيه سفن أهل العزم القوي، و لا يهتدي لعبوره منهم إلا من تحلى بمقامات اليقين في ابتداء أمره في الإنكباب بكل جهد لما يوصله إلى حبل التعلق للجذب إلى تلك الحضرة، فالشيخ رحمته الله يتشوف بهذا العزم للجذبات التي تتجلي عليه من هذه الحضرة الإمتنانية، لتجذبه للحصول على غاية مطلبه، فتسلب منه الرعونات النفسية التي لا ينفك عنها بشر إلا بتطهير رباني ينصب من حضرة القدس، فينجلي به ما يرق من الأدران من بقايا حظوظ النفس فهو رحمته الله قد ارتقى إلى ما هو أعلا من هذا المقام بطلب ما يسلبه عن كل الكل وجملته الظاهرية و الباطنية، بحيث تكون الجذبات المطلوبة واردة عليه من جناب الحق، تحفه من سائر الخلق، فيكون عبدا محضا، وارثا محمديا، متحليا بالأخلاق الإلاهية، لا ينفك عن رابطة الجواذب، و يكون مطلوبوا للعناية بعد ما كان لها هو الطالب، فلا تحجبه المشاهدة عن أداء حق الله في الخلق، و لا يمنعه القيام بحق الخلق من أداء حق الحق، وهذه من الكمالات الروحية التي لا تدرك إلا باجتباء قدسي، ولنا رواية في قوله رحمته الله بالتجلي، و هي بالتجلي نوع من التحلية، و هي مستقيمة المعنى أيضا، من جهة كون تمنيه لجذبات صمدانية واردة عليه بالتجلي المناسب للعبد في دخول حضرة سيده، كما يصح أن يقرأ بالتجلي بالخاء المعجمة، بحيث تكون هذه الجذبات توافيه بالتحلية عن الكون لانجذابه إلى حضرة المكون،

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

وعلى كل حال فهو متشوف للإنقطاع إلى الله عن كل ما يشغله عنه، طالب تعجيل ذلك له ليدرك كمال إقبال الحق عليه، و كمال محبة الرسول ﷺ فيه، و في ذلك غاية المطلب فإنه يطلب تعجيل الوصل ضمن التحليات العالية المرجو ورودها عليه بصدق الوجهة، مع تباشير الهناء المخصوص به على لسان الخاصّة، وفق ما أشرنا إليه، فهو لكمال التشوف للعرائس التي ستبرز له من تحت خدور التحليات، و تُزف لحضرته من أعلى المقامات، أزعجه الشوق للإستطلاع على وُجُوهاها، منتظرا لما يرد عليه من الجذبات ليرتقي في مراقي الرتب العالية، ليصل إليها حين تجذبه يد العناية، و تفتح له باب الدخول لحضرتها ملحوظا بالرعاية، و في ذلك كمال مَطْلَبه، فإنه يتحقق ﷻ بأنه إذا زفت له واردات الوصل فإنها ترقى به من كل رتبة على العلا التي لا يصعد فيها إلا من هو لها أهل، غير أن كل صاعد من أهلها يقف عند رتبته المخصوصة به، و لا يحمل به التشوف للرتبة التي هي أعلا قدرا من قدره قياما بواجب الأدب، فلا يطلب مطلق الولي رتبة القطب المتصدر على كرسي جلالته، و لا يطلب القطب رتبة الصحابي الذي عدّه النبي ﷺ من صحابته، و لا يطلب الصحابي رتبة النبي المنفرد بنبوة، فأحرى إذا ارتبطت برسالته، و لا يطلب النبي و الرسول رتبة الألوهية لانفراد الحق بها جلّ علاه عن الشريك في وحدانيته و إلهيته، فوقف الكل عند حدّ الأدب اللائق به غير أن الكامل من الرجال يستطلع بحمة مؤيدة بالعناية على الرتب التي ترقى فيها الهمم، فإذا استطلعت عليها أقبلت على نيلها بعزم قوي، فتظفر منها بالوصل، و ما يفتح الحق بابا من التعرف منه لعبده إلا ودعاه للدخول منه و تنبيهه على طلب ما يراه أو بشر به) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

وهل واردات ^(١٤) الوصل منّا ترفّ لي

لكي أرتقي العلياء من كلّ رتبة ^(١٥)

(١٤) قال الشيخ ذ/ محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني ما نصه : (الواردات: جمع وارد، وهو في اصطلاح القوم كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تَعَمُّدٍ أو تَعَمُّلٍ من العبد) أنظر المصدر السابق .

(١٥) قال الشيخ العلامة أحمد سكيّج رحمته الله ما نصه : (فإن الشيخ رحمته الله قوي العزم، له البشارة التامة قبل الحصول على المراد الذي تحمله له واردات الوصل، ليرقى من كلّ رتبة أعلاها بين ذوي العقد و الحل، فطلبه لهذا من باب طلب الشخص لتعجيل الحق المخصوص به، فهو مستحق له في الحقيقة بالتخصيص والإجتباء له، و لا يجب عليه سبحانه شيء من الأشياء إلا ما اقتضاه عدله، و جاد من غير وجوب عليه به فضله، و الحاصل أن الشيخ رحمته الله كان يطلب تعجيل ما بشر به قبل الوفاة، فإن الرتب لا يعظم قدرها في العالم الأخرى إلا بقدرها المحصل في الحياة، و بعد الموت لا يبقى لها ترق إلا ما خص به الرسول رحمته الله من الترقى الدائم، و خليفته قدم في الترقى معه و لا بأس بذكر واقعة حصلت لي بتاريخ ٨ جمادى عام ١٣٢٥، و الله يشهد أنّها لحق، فقد ظهر لي بين النوم و اليقظة، و الحالة الثانية أغلب أن صاحب حضرة القدس ترتقى مرتبته دنيا و أخرى في كلّ لحظة، لأنه مستمد من الحضرة المحمدية، و هي دائمة الترقى، و انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي أن مرتبتك لا تزال ترتقى دنيا و أخرى، فكذلك صاحب هذه الحضرة لحواله بمرتبة الخلافة كالشيخ سيدي أحمد التجاني، و أما غير صاحبها فينتهي ترقيه بموته، إهد... بمعنى ما رأيته و سمعته في هذه الوقعة الروحانية، و فيها بحمد الله داع الفلاح للموفق ليقدّر قدر الشيخ رحمته الله، ثبتنا الله على محبته) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل أَرَدَنَّ بحر الشهود فيشتفي

غليلي بغوصي فيه في كلِّ لحة^(١٦)

(١٦) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فهو من باب طلب تحصيل المفازة، التي هي منتهى مفازات السير، للعثور على منبع كل خير، في قطع مشاهدة الغير، فإنه إذا ورد العارف من بحر الشهود، أفاض على الوجود ينابيع الجود، فينتفع في خاصة نفسه، و ينفع غيره من أبناء جنسه، في عالم معناه و عالم حسه، فيكون وارثاً أحمدياً، وخلفاً محمدياً.

و ناهيك بهذا المقام الذي هو مطمح نظر خاصة الأصفياء و أكابر الأولياء، ليجري النفع على يدهم لعباد الله عند ما يحصلون على الحظ الأوفر منه، فتدعوهم داعية الخير المفاض عليهم للأخذ بيد الضعفاء، و يسقونهم من موارد الصفاء ما فيه هدًى و شفاء، و هذا المقام ينقسم بحسب الوارد و المورد و المورد المراد و المرید إلى أقسام ما بين سالك و مجذوب، و عذب أو ملح غير مشروب، ليس الكلام فيه الآن، حيث أن مطلب الشيخ رحمته الله هنا إنما هو تعجيل الفتح عليه بالورود من بحر الشهود، فيشتفي غليله بغوصه فيه في كل لحة من لمحات بصره، و المقصود سقيه في كل نفس من أنفاسه من شراب مختلف لونه و ذوقه، من معين المعرفة بالله تعالى، و المشاهدة التامة المتمكنة من مقام الإحسان في قرار مكين، و هذا البحر الذي هو بحر الشهود ينصب في بحر الحقيقة المحمدية، ثم منها ينصب لبحر الألوهية الذي غاية ما يناله الخائض فيها بالحق من الحق في الخلق العجز عن الإدراك و التحقق بالعبودية المحضة على قدر منصبه من التمكن في المعرفة، فإن الشهود الحقي ما كان من حيز هذا المطلب، و إلا كان باطلا يأتي لصاحبه بما لا يرضيه، و يوقعه فيما يُرديه و الشيخ قدس سره يطلب الشهود الحقي الذي لا يأتيه الباطل، و يطلب التمكن فيه بما يرد من بحر و يغوص فيه غوصاً يقضي عليه بعدم الخروج منه، فهو ممن ينطق لسان حاله بعد حوضه قائلاً: خضنا بحراً و قمت الأنبياء بساحله، و على كل حال فمطلب الشيخ دوام الشهود و التعجيل عليه بالفتح به) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

بباطن قلبي والهدى لي زفت ^(١٨)

وهل تطلعن شمس المعارف ^(١٧) جهرة

(١٧) قال الشيخ ذ/ محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني ما نصه : (المعارف فى اصطلاح الصوفية هي عبارة عن إحاطة العبد بعينه وإدراك ماله وما عليه. إه... وعن حقيقة المعرفة يقول الشيخ أبو العباس النجاني رحمته الله: المعرفة الحقيقية أخذ الله العبد أخذًا لا يعرف له أصلا ولا فضلا ولا سببًا، ولا تعقل فيه كيفية مخصوصة، ولا يبقى له شعور بحسه، وشواهد ومحواته، ومشيئته وإرادته، بل تقع عن تجل إلهي ليس له بداية ولا غاية، ولا يوقف له على حدّ ولا نهاية. إلخ...) أنظر المصدر السابق .

(١٨) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فإنه رحمته الله قد كان فى أشد ما يكون من الإشتياق إلى طلوع شمس المعارف بمنازل قلبه من الحضرة القدسية، و طال انتظاره لإشراق أنوارها جهرة لديه، فيرى بعين اليقين وجه محبوبه الذي ألقى نفسه بين يديه، فاستفهم عن طلوعها فى مطلع الأسرار من باطنه، وفى طي استفهامه تمنى التعجيل بطلوع هذه الشمس التي إذا أشرقت فى قلب استنار بأنوار محمدية مطلعها من أنوار قدسية إلهية، لا تبقى من ظلام النفس بقية، فيهتدي من أشرقت فى باطنه لما فيه السعادة الأبدية، و يسلك بها مطمئنا من الوقوع فى مهاوي الدسائس النفسية، بما أشرق عليه من الأنوار المنيرة، حتى يرد من عين الحياة السرمدية، التي لا يبلغ إليها إلا من حرق الحجب البشرية، و صار نورا محضا بامتزاج نور المعرفة بنفسه المرضية، فتزف له عروس الهدى من خلدور الرضى، ويفوز بوصلها الذي لم ينله من عالم الغيب إلا من ارتضى، فتشوف رحمته الله لهذا الزفاف الذي له قرّة العين بالحصول على المعرفة التي لا جهل بعدها، لطلوع شمسها فى باطن صاحبها الذي خص من الحضرة العلية بالقرب التام عندها، و هذا من ضمن مطلبه رحمته الله المتشوف للتعجيل له به، لتكمل معرفته بالله، فيصلطفيه الحق اصطفاء أفراد محمديين خصصوا بالكمال بين الخلق، فيرقى فى معارج الحقائق، محوطا بالعناية فى سلوك الطرائق) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

وهل أرتقي عرش الحقائق واصلا

إلى الله محفوظا بكل كريمة^(١٩)

(١٩) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (تمنى في طي هذا الإستفهام الوصول إلى هذا المقام الذي ما بعده في رتب المعرفة بالله إلا الفناء المحض، فإن عرش الحقائق غاية ما ترقى له الهمم الجدة في الترقى بقطع المسافات التي انقطع عن بلوغ غايتها كل من جاهد نفسه و اجتهد كل اجتهاد للحصول فيها على المراد، فلم يصل لهذا العرش إلا أفذاذ من كمل الصادقين، و خاصة الأقطاب المحمديين. فالشيخ رحمته الله يطلب هذا المقام ليظفر به قبل أن يحول بينه و بينه حائل الموت الحسي، و لم يقف في الطلب إلى هذا الحد من الترقى، بل مقصوده الوصول إلى الله محفوظا بكل كريمة، آخذا بيده حتى تدخل به لحضرة مولاه، فيقال له: ها أنت وربك، فيقوم في حضرته بواجب الأدب، و يعطي المقام حقه من القيام بحق التوحيد للحق في هذا البساط الذي تزل فيه قدم العقول بترك ما يتعين على العبد الذي ساعدته العناية بالدخول لحضرة النداني بعد الوصول) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل حلة التوحيد ألبسها وقد

تمكّن سرّي من بساط الحقيقة (٢٠)

(٢٠) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فإنه يتشوف إلى الوصول إلى الله، و يكون وصوله ملحوظا بكمال العناية به، في إلباسه حلة التوحيد التي يقي بها حر الضلال، بعد ما شاهد الحق جهارا بلا اختلال، فينزعه عما لا يليق به، و هو متمكن في بساط الحقيقة بكشف حجه، محفوظ في توحيد المتين، بعد الوقوف على عين اليقين، فالحصول على هذا المطلب من الكمالات التي لم يظفر بها إلا القليل من أهل التجديد، الماسكين على حبل التوحيد بدون تقليد، فإن من تجلت له الحقيقة، و تمكن سره في بساطها بين الخليقة باح بما يلوح عليه من أسرارها، و لكن لا يمكنه التعبير بما يجب لمقدارها، فتصادفه الأنوار الشعشعانية، فتتضاءل عندها تحقيقاته العرفانية، فيكبر عليه من الحال ما يعظم شره، و يشيع بين الخاصة شطحه، فيقام عليه الحد في تهتكه.

و قلما وصل أحد إلى هذا الحد فلم يبح بسره، متجردا بحكم التجلي من حلة التوحيد في جهره، و الشيخ رحمته الله يطلب إفراغ حلة التوحيد عليه في هذا البساط، ليكون محفوظ التوحيد الخاص، من غير تفریط فيه و لا إفراط، يعطي المنصب حقه جمعا و فرقا، حقا و خلقا، فلا يخل بأدب الحق، و لا يضل به بتحقيقه الخلق) أنظر المصدر السابق.

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل لي بجمع الجمع بالله وصلة

وقد طلعت شمس الوصول بقبلي (٢١)

(٢١) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (فهو قد استفهم عن تحصيل الوصلة بالله في حضرة جمع الجمع، و هي مكانة عالية القدر، لا يحصل عليها إلا أفراد محمديون مخصوصون بالاجتباء من حضرة القدس إلى حضرة الزلفى، بعدما يتمكن مقام المدرك لها في حضرة غيب الغيب، فيتم ظهوره بها، و يكون بين أولياء عصره كالشمس المنيرة، فلا تخفى على أحد من الناظرين إليها بدون حائل، فلا يحجب مقامه بعد ظهوره عن أحد منهم، و لا ينكشف لهم عن سره إلا بقدر ما يشفون به من جهة الإستمداد منه و التعلق به في نيل المراد من غير تقصير في حقه، فإن الشيخ رحمته الله قد طلعت شمس الوصول بقبليته، وفق رغبته، بل فوق أمنيته، فظهر لأولياء وقته نوره، و تحقق الكل بأن قدره فوق ما عليه ظهوره، مع ما هو عليه من كمال الظهور في المرتبة ظاهرا و باطنا، لم يزد إلا ترقيا في إقباله على الله، و إقبال الخلق عليه بما يرضي الله ويرضى به عنهم، فهو إمامهم الذي تقدم في محراب القرب من حضرة الوصول، و وراء أهل الاختصاص قائمون بحق الأدب الذي تستحقه الحضرة، فإنه رحمته الله في هذا المظهر الذي طلبه أضحى نفس القبلة التي طلعت فيها شمس الوصول، فتوجه لها كل من رام نيل المنى و بلوغ السؤل من أهل العناية، فهو في هذه الحضرة مجموع بالله، و جامع القلوب على الله، شمس الوصول في محرابه طالعة، و أنوار المعرفة عليه ساطعة، و نحن و إن لم يسمح الدهر لنا بالإجتماع برؤية طلعت المنيرة، لنؤدي ذلك على وفق ما نراه، فنشهد بما نرى، فقد ظهرت أنواره للوجود، بما أغنانا عن إقامة الشهود، على ما ظهر منها في الشهود و قد تلقينا بعض ما أمليناه، و نمليه ممن تلقوه عن خاصة أصحابه، و عمن كشف الله لهم الحجب عن عرائس الولاية، و قد حدثني سيدي و مولاي أحمد العبدلاوي رحمته الله أنه اجتمع بتونس بأحد خاصة الأولياء من أهل الطريقة الشاذلية، ممن شهد له بالفتح، فقال له: يا فلان، إني شاذلي الطريقتي، و إني أرى المدد الذي يصلني إنما هو على يد القطب النجاني رحمته الله. إه... و يمثل هذا يقول كل من كشف عن عين قلبه، ورأى ما يفيض عليه من حضرة ربه، ممن اصطفاها لحضرة قريه، وراثه محمدية خصت بها الحضرة الأحمدية فضلا من الله و منة.

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

و قد من الله تعالى عليّ و له الحمد بمعرفة سر إمداد سيدنا رحمته الله للأولياء فى عالم السر، فى واقعة مباركة شاهدت فيها المصطفى رحمته الله جالسا جلوس إجلال وإكرام، وسيدنا رحمته الله عن يمينه، و العارف بالله سيدي ابن وفا عن يساره، و العبد الضعيف فى مقابلته، فسمعت سيدي ابن وفا يقول: يا سيدي يا رسول الله نحب أن نراك، فأجابه رحمته الله بلسانه، مشيرا بيده وبنانه إلى سيدنا رحمته الله قائلا: سل هذا من ابن سالم، فعرفت بذلك سر الخصوصية، و سر الوساطة التي نالها بعدما طلب الوصلة فى حضرة جمع الجمع بالله فى حضوره و غيبته، و طلوع تلك الشمس فى قلبته، حسبما أخبر عن نفسه من ضمان الرسول رحمته الله لجميع طلباته) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

وهل وابل العلم اللدني^(٢٢) هاظل

إليّ ويبقى دائما كلّ لحظة^(٢٣)

(٢٢) قال الشيخ ذ/ محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني ما نصه : (المقصود بالعلم اللدني في مصطلح القوم هو: معرفة ذات الله تعالى وصفاته علما يقينا من مشاهدة وذوق ببصائر القلوب. إهـ.. وقد جاء لفظ (لدني) في القرآن الكريم في قوله تعالى: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما). إهـ.. وجاء أيضا في آيات أخرى، بيد أن الآية المذكورة اختصت بقصة موسى والخضر المذكورة في سورة الكهف، وهي تشير إلى اختصاص الله سبحانه للسيد الخضر بهذا العلم الباطني العظيم، وينصب موضوع هذا العلم حول أحكام الأسماء الإلاهية ولوازمها، وكيفية ظهورها في مظاهر الوجود، كما يحتوي العلم بأعيان الموجودات الثابتة، وأعيانها الخارجية من حيث هي مظاهر للحق) أنظر المصدر السابق .

(٢٣) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته الله ما نصه : (هذا استفهام فيه تمني نيل العلم اللدني، و هطل وابله إليه، و طلب بقائه كل لحظة فائضا عليه، و قد تحقق بهذا المقام حسبما أشرنا له أول الكلام، فكان رحمته الله مجرا زاحرا، كل من أراد أن يسأله أو يكتب عنه يملئ له من غير تأمل في كل ما أراد، كأنه لوح بين عينيه ينظر فيه، و هذا مُشاهد للخاصة و العامة كما قاله في الجامع، ثم قال عقبه: و قال لي مرة بعد أن كتبت عليه جواب مسألة: لو سألتني أحد أربع سنين و أنا ألمي عليه و هو يكتب لم يفرغ، يعني من غير تأمل.

قلتُ وهذه أحوال العلم اللدني رضي الله عنهم، و لا يستغرب هذا منه، لأن سيد الوجود رحمته الله قال له: كل ما أمليت فأنت مترجم عني، أو كلاما هذا معناه. إهـ..، فهو رحمته الله هطلت سحائب العلم اللدني عليه بالوابل، بما لم يحطر به على الأوائل، و قد أقرّ له بهذا معاصروه، و بقيت رشفة من علومه و معارفه تنبع من عيون كمالاته المودعة في ضمن ما ألفه البعض من أحبائه و إخوانه، و العرب عنها: كل من جاء بعده بتبنيانه، يملئها على لسانه، ويرسمها ببنانه، و في ذلك أعظم كرامة له في كل عصر، تظهر بين أحبابه في كل مصر، و لا يجحد هذا إلا من طبع على قلبه بطابع الحرمان، و معرفة أمثاله و التسليم لهم لا ينال إلا بتأييد الرحمن، فقد بلغ رحمته الله الغاية القصوى من جميع مطالبه، واستولى من كل مطلب منها على أعلا مراتبه (أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته

فَيَا حَبْدَا أُم لَا بَلُوغَ لِمَنِي
وَتَيْلٌ مَرَادِي أُم أَمُوتَ بِحَسْرَتِي (٢٤)

وهل أُملي من هذه بالغ المدى
وهل تجمع الأيام شملي ببغيتي

(٢٤) قال الشيخ العلامة أحمد سكيرج رحمته ما نصه : (من تمام الإستفهام المبني عليه طلب تعجيل قضاء مطالبه التي وفق لها بإلهام، و قد نالها وفق المرام، فإنه رحمته جمعت الأيام شمله ببغيته، و بلغته فوق أمنيته قبل منيته، فكملت له المسرة، ولم يمت منها بحسرة، و حق له أن يقال في جوابه :

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

بلغت المدى يا حَبّذا من مزية *** بها فقت أهل الله يا خير صفوة
حباك بما تمواه ربك بالرضى *** على وفق ما يرضاه منك بدعوة
فنلت من الحب الذي يكشف العنا *** و يجيي نفوس الخلق أنفس سكرة
و فوق ذوي الإحسان صرت مبرزا *** و ذلك فضل الله طبق المشيئة
فأنت بغيب الله بالله حاضر *** مع الكل و الأكوان فيك تجلت
قد انطبت فيك المحاسن كلها *** بنفحة قرب فيه هدم الطبيعة
و قد جذبتك بالتجلي جواذب *** إلى حضرة في ضمنها كل حضوة
و قد وردت بالوصل منها بشائر *** ترقيق في العليا لأرفع رتبة
وردت بها بحر الشهود حقيقة *** فنلت شفاء كاشفاً كل غلة
و قد طلعت شمس المعارف و الهدى *** بقلبك و الأنوار منك تبتت
وصلت إلى الله الكريم مؤيدا *** بخير كرامات و كل كريمة
لبست من التوحيد خير حلّى و قد *** تمكنت حقا في بساط الحقيقة
و نلت بجمع الجمع بالله وصلة *** بها صرت موصولا بكل جميلة
و أنت من العلم اللدني رويت ما *** به منك قد فاضت ينابيع حكمة
ليهنيك يا مولاي يا أحمد الرضى *** بلوغك للمطلوب قبل المنية

و هذه المطالب التي استفهم عنها رحمته الله كانت في ابتداء أمره، و نظمها في تلك الأبيات التي جارينا الكلام عليها من غير تأنق في تتبعها و لا قصد في استيفاء ما اشتملت عليه من المطالب بتفننها و تنوعها، و قد ضُمنّت له، و لم ينتقل من الحياة الدنيوية حتى حصل على غاية المنتهى منها، وفق ما كان يتمنى فضلا من الله و امتنانا، و الله يوتي فضله من يشاء و الله ذو الفضل العظيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم و على آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين، و الحمد لله رب العالمين. (إه) أنظر المصدر السابق .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

❦ وله أبيات فى التشمير والحزم ، خلل بيتين لبعض الفضلاء ، وهى :
تريد المجد ثم تنام ليلا
لقد أطمعت نفسك بالمحال
يغوص البحر من طلب الآلى
ومن طلب العلا سهر الليالي
قال سيدنا رحمته الله :

تريد المجد ثم تنام ليلا
لقد رمى الحصاد بغير حرث
لقد أطمعت نفسك بالمحال
يغوص البحر من طلب الآلى
فدع عنك التعلل بالأمانى
فليس ينالها سعي الهوينا
ولا بالهون ترقى للجبال
ونسك جرعن مرن النكال
ألا حلّ التكاسل والتواني
وخذ فى الكد واحترمن
وشتر بعزم إن سوم الدرّ غالى
فمن ركنت شجيته لعجز
تقاعس عن محاولة المعالي

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ إبي العباس النجاني رحمته الله

✽ ولبعض الفضلاء رضي الله تعالى عنهم ، ونصّه :

كلّ مَنْ قَلَّ أُنْجَاله	كان من الطاعات أنجى له
كلّ مَنْ قَلَّ أقواله	كان من الزلّات أقوى له
كلّ مَنْ أهمل أفعاله	أوشك أن ترجع أفعى له

فأجابه سيّدنا رحمته الله ، ونصّه :

كلّ مَنْ راقب أحواله	كان لدى الخيرات أحوى له
كلّ مَنْ لم يرع أعماله	كان عن الإرشاد أعمى له
كلّ مَنْ باين أعلاله	كان عن الخسران أعلى له
كلّ مَنْ باعد أغلاله	كان لرفع القدر أغلى له
كلّ مَنْ فارق أحواله	وَارِدٌ بالخير أوحى له

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

❁ ومن إملائه رحمته الله ، ونصّه :

أراك تراني بحيث لا تراني ومن العجائب أن تراني فلا تراني

قال رحمته الله : معناه ، الكون كلّ وجود من حيث أنّ حقيقته وجود الحقّ صفة وإسما لا ذاتا .

والكون كلّ عدم من حيث صورة الغيريّة فيه ، فإنّه لا وجود له من هذه الحيثيّة ،
يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٢٥) ، فإنّ عين الأحديّة
فاضت بالقهر الماحق لجميع صور الأغيار فلم يبق إلاّ كونه واحدا لا مشاركة فيه
للوجود .

(٢٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ بُدِّلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٤٨)

إبراهيم: ٤٨ .

نيل الأمانى فى جمع قصائد وأبيات من نظم الشيخ أبى العباس النجاني رحمته الله

تم بحمد الله تعالى